

رسالة بيت التكريس
بمجلد

العنصرة

يوم الخميس

يونية ١٩٦٠
السنة الثانية لإعتلاء البابا كيرلس
السادس كرسى الكرازة المرقسية
لتكن أيامه سعيدة

التمن

تصرف الحصىلة لخدمة البيت



محتويات الرسالة

أولاً - في معنى العنصرة

ثانياً - في مظهر العنصرة
(أ) معنى الريح في المفهوم اللاهوتي
(ب) معنى النار في المفهوم اللاهوتي

ثالثاً - في أقنوم العنصرة

(أ) أقنوم الروح القدس
(ب) علاقة الروح القدس بالآب والابن
(ج) إرسال الروح القدس إلى الكنيسة

رابعاً - في سر العنصرة

(أ) الهيئة التي حل بها الروح القدس
(ب) النتائج التي ترتب عليها حلول الروح القدس

خامساً - في آسان العنصرة

(أ) عمل الآب في الانسان الجديد
(ب) عمل الابن في الانسان الجديد
(ج) عمل الروح القدس في الانسان الجديد:
(أولاً) الروح القدس والماء
(الميلاد الثاني)
(ثانياً) الروح القدس والميرون
(المسحة)



العنصرة

أولا - في معنى العنصرة

أصل الكلمة (١)

كلمة العنصرة كلمة عبرية أصيلة ، وهي ليست آرامية ولا سريانية ، وهي تستعمل في العبرية الحديثة فيما كانت تستعمل فيه في العبرية القديمة تماماً . وأصل الكلمة «عَسَار» ومنها كلمة «عَسْرِيَت» التي جاءت منها كلمة العنصرة . والكلمة «عسار» معناها اجتمع أو جمع ، حيث كانوا يجتمعون ويعيدون في هذا العيد . وهي تأتي أيضاً بمعنى منع أو امتنع لأنه يمنع فيه العمل لأنه يوم مقدس .

وعيد العنصرة عند اليهود هو «عيد الأسابيع» أو «عيد الحصاد» أو «عيد الخمسين» . وعيد الأسابيع ترجمته العبرية «هجشبعوت» . حيث حاج بمعنى عيد، وشبعوت = السبوعات أي الأسابيع . ويسميه العلماء وبالأخص علماء التلمود «عَسْرِيَت» ، أما عيد الحصاد فترجمته العبرية «حاج هفصير» حيث «هفصير» هو الحصاد وأطلق على هذا العيد في الترجمة اليونانية للتوراة كلمة «بنتيكستي» أي الخمسين .

والكنيسة استعارت هذه الكلمة (العنصرة) كما هي وأطلقتها على عيد حلول الروح القدس . ولأنه يقع في اليوم الخمسين من قيامة الرب فهي تسميه أيضاً بعيد «البنتيكستي» أي عيد الخمسين .

وكلمة العنصرة تشير في أصل اشتقاقها للغوى إلى الجمع أو الحفل ، لذلك
فالكنييسة محقة أيضاً في جعل إسم العنصرة وفقاً على هذا العيد بالذات ، لأن
في هذا اليوم تقّس محفل التلاميذ بحضور الروح القدس تقديساً مستمراً ،
فصار ذلك المحفل المقدس كنييسة مقدسة ، لم يفارقها الروح القدس منذ ذلك
اليوم إلى وقتنا هذا . . .

لا عجب إذن أن تعيد الكنييسة عيد العنصرة ، هو عيدها .

وهي لا تغفل في عيدها هذا أن تصلى مع الكنييسة المنتصرة أختها التي
في السماء ، فترفع في هذا اليوم بخوراً كثيراً جداً مع صلوات متواترة على أرواح
المنقلين كنوع من الشركة المتصلة وتبادل الشفاعة ، لأنها ترى في ذلك كمال
التعبيد !

* * *

في سفر التكوين نقرأ كيف خلق الله الانسان من تراب الأرض ؛
خلقه وأعطاه نسمة حياة على صورته ومثاله . . . وقصة سقوط الانسان
في المعصية وانغلابه للشر والخطية ، وسريان حكم الموت في كيانه الانساني قصة
تجوى من الأسرار العميقة شيئاً لا يستهان به ، نود لو نعود إليها بالشرح والتوضيح
في مناسبة أخرى لو يشاء الله ذلك ، . . . ولكننا نعلم على كل حال أن الانسان
الأول أنسل نسلاً بعد قبوله الموت في كيانه نتيجة لخطيته ، وبذلك صار كل
بني آدم في الخطيئة يولدون وبالخطية يموتون . . .

كان هذا إلى أن جاء المسيح الرب منقذ جنسنا من الخطية والموت . . .

لأنه « هو نفسه حمل خطايانا في جسده على الخشبة لكي يموت عن الخطايا
لنحيا للبر » (١) . . .

ولما مات المسيح رفع عنا حكم الموت « لأن الموت الذي ماتته قد ماتته
للخطية » (٢) . وبذلك صارت طبيعتنا البشرية حرة مرة أخرى ؛ ولكن ظلت في
حاجة إلى قوة جديدة تحفظها ، وإلى عمل إلهي جديد يرفعها إلى مستوى القداسة

(١) ابط ٢ : ٢٤ - (٢) رو ٦ : ١٠

اللائقة بحياة الشركة مع الله . . . « لكي لا يعيش (الانسان) أيضاً الزمان الباقي في الجسد لشهوات الناس بل لإرادة الله» (١) .

في يوم الخمسين من موت الرب وقيامته تقبلت الطبيعة البشرية هذه القوة الروحية الجديدة ، تقبلتها بصورة ظاهرة ، فحل الروح القدس على التلاميذ جهاراً بصوت مسموع ومنظر أخاذ ، ودخل وملاً الطبيعة البشرية بجدد خلقها وقواها ورفع من مستواها الروحي بشكل عملي إعجازي فائق ، أدهش الذين عاينوا حوادث ذلك اليوم العظيم الخالد . . .

في يوم الخمسين حدث فعل خلق جديد في طبيعة الانسان ، ظهرت مفاعيله في سلوك التلاميذ وفي إمكانياتهم وفي لغتهم وفي مفهوماتهم وفي علمهم الأمر الذي حير رؤساء الكهنة والحكام ؛ ولكن لم يقتصر هذا التغيير المفاجيء الشديد على التلاميذ ، بل المدهش حقاً أنه إنتقل إلى كل من آمن واعتمد وقبل وضع اليد ، حتى فهم جيداً أن حلول الروح القدس على التلاميذ كان عملاً تكملياً لأعمال الخليقة الأولى . . . لذلك نرى أن يوم الخمسين أصبح مرتبطاً باليوم السادس من سفر التكوين ارتباطاً جوهرياً من حيث خلقه الانسان . . . فالعنصرة من هذا الوجه ميلاد جديد للتلاميذ في طبيعة جديدة خلقها المسيح من جسده بموته وقيامته وعمل الروح القدس ...

وحيثما نتأمل في الوضع الذي كمل فيه هذا العمل الخلق الجديد ندهش إذ نجد أنه لم يتم بصورة فردية كخلق آدم الأولى ، بل كان التلاميذ مجتمعين معاً «مع النساء ومريم أم يسوع» (٢) في حالة خشوع وصلاة ، إذن فطبيعة الانسان استقبلت خلقها الروحية الجديدة على صورة كنيسة !!!

هذا معناه أن ميلاد الانسان الجديد محصور في ميلاد الكنيسة ، وطبيعة الانسان الجديدة لا بد وأن تشمل في صميم جوهرها ارتباطاً حياً وصلة وثيقة بالكنيسة ... لا توجد فردية في الخليقة الجديدة !!

نحن نأخذ طبيعة الانسان الجديد من الكنيسة ، وليس يمكن لأحد أن يولد من الماء والروح ويصير خليفة جديدة في المسيح يسوع خارج الكنيسة ...

(١) ابط ٤ : ٢ - (٢) أع ١ : ١٤

العنصرة إذن عيد الكنيسة ، هو ذكرى ميلادها . . .
ميلاد الكنيسة ليس قصة ، هو حياة متحدة بطبيعة الروح القدس .
نحن نحيا في ميلاد كنيستنا ، نحيا في طبيعتها الجديدة المتحدة بالمسيح
والروح .

العنصرة عيد الحياة بالروح للذين يعيشون حقاً في المسيح . . .

ثانياً - في مظهر العنصرة

استعلن الروح القدس في يوم الخمسين في مظهرين ، مظهر ريح عاصف
ومظهر السنة كأنها من نار . . .

« ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع معاً بنفس واحدة ، وصار بعتة من
السما صوت كما من هبوب ريح عاصف وملاً كل البيت حيث كانوا جالسين
وظهرت لهم السنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم (١) » .

(١) معنى الريح في المفهوم اللاهوتي

مما يلفت النظر في اللغتين العبرية واليونانية أن الريح والروح لهما كلمة
واحدة تعبر عنهما ، ولكن لا تقتصر الصلة بين الريح والروح في الاشتراك
اللفظي فقط ، بل نكتشف من حديث المسيح مع نيقوديموس في الاصحاح الثالث
من إنجيل يوحنا أن هناك تشابهاً بين طبيعة عمل الريح وعمل الروح من وجهة
الميلاد الجديد من الماء والروح :

« الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا
إلى أين تذهب هكذا كل من ولد من الروح » .

وأكثر من ذلك نلاحظ أن حضور الله كثيراً ما يكون مقرونًا بهبوب
رياح عاصفة فمثلاً في سفر أيوب نقرأ هكذا « فأجاب الرب أيوب من العاصفة » (٢)
وفي المزمور الخمسين نقرأ « يأتي الهنا ولا يصمت ، نار قدومه وحوله
عاصف جدا » (٣)

(١) اع ٢ : ١ و ٢ و ٣ (٢) اي ٢٨ : ١ (٣) مز ٥٠ : ٣

وناحوم النبي يتكلم من جهة ذلك « الرب في الزوبعة وفي العاصف طريقه »^(١) وموسى مع الشعب ارتعبوا لما خاطبهم الرب « من وسط النار والعاصف »^(٢) وإيليا أيضاً لم يواجهه الله إلا بعد عبوره في الريح العاصف « وإذا بالرب عابرو وريح عظيمة وشديدة قد شقت الجبال وكسرت الصخور أمام الرب »^(٣)

أما في سفر حزقيال فنعثر على عمل الريح والروح معا في اصطلاح واحد يعبر تعبيراً عن وحدة سرية في المفهوم اللاهوتي بينهما إذ يقول النبي « فقال لي تنبأ للروح تنبأ يا ابن آدم وقل للروح هكذا قال السيد الرب هلم ياروح من الرياح الأربع وهبّ على هؤلاء القتلى ليحيوا »^(٤) فمع أن الهبوب هو من طبيعة الريح إلا أننا نجد هنا من عمل الروح أيضاً

من ذلك نستطيع أن نكون فكرة من وجهة لاهوتية عن الريح العاصف الذي اقترن به الروح القدس وقت حلوله يوم الخمسين ، فهو في الواقع تعبير عن حضور الله ، هو إشارة واضحة عن لاهوت الروح القدس ، وبالأخص قول الكتاب عنه :

« صار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة » .

فهو ريح سمائي . . . نقرأ عنه فيما بعد أنه ملاء البيت ثم ملاء جميع الحاضرين في البيت . . . إذن فهو روح مالى للمكان والزمان والكيان ، الله وحده هو الذى يملأ المكان والزمان والكيان

لذلك نجد في هذا الريح السمائي الحاضر في المكان والمالى الكل حضوراً آلهياً وإيماء على نمط جديد ، ففي العهد القديم نجد بعض أمثلة فردية حل فيها الروح ولكنه كان حلولاً مؤقتاً ومغلقاً ، مغلقاً لأنه لم يكن يستطيع أن يؤثر في الطبيعة البشرية آنذاك تأميراً عاماً مولدداً كما حدث يوم الخمسين وصار ينتقل إلى كل من يعمده التلاميذ ويضعون عليه اليد

الروح استطاع يوم الخمسين أن يدخل التلاميذ ويملاهم كما يملأ الريح

(١) نا ١ : ٣ (٢) تث ٥ : ٢٢ و ٢٣ (٣) امل ١٩ : ١١

(٤) حز ٣٧ : ٧

المكان ؛ لأن حجاب الخطية التي كان يفصل الطبيعة البشرية عن عمل الروح
رفعه المسيح إلى الأبد

(ب) معنى النار في المفهوم اللاهوتي

لو رجعنا للآيات والأمثلة التي تكلمنا فيها عن حضور الله في الرياح
العاصفة نجد أن الريح فيها مقترنة بالنار دائماً لذلك فغنى إقتران الريح
بالسنة النار في يوم الخميس أمر ذو بال من حيث المعنى اللاهوتي . .

ولكننا نجد في النار تعبيراً أقوى عن شيء ما في طبيعة الله ، حتى قيل
مرّة : إن « الهنا نار آكلة » ^(١) بل ورأينا النار المشتعلة في العليقة تعبيراً
مباشراً عن حضور الله ؛ والتقليد يحدثنا عن نار العليقة أنها تعبير واقعي عن
طبيعة اللاهوت

وإذا أضفنا إلى ذلك حضور الله في عمود النار ليلاً في محلة الاسرائيليين
وإستجابة الرب من السماء بنار على ذبائح المقبولة ، وحضور الله في هيكل سليمان
يوم تدشينه على هيئة نار ، كل هذا يوجه فكرنا إلى معنى السنة النار المنقسمة
التي ظهرت يوم الخميس ؛ فهو تعبير عن عمل طبيعة الله يوم الخميس وإشارة
ضمنية إلى طبيعة الروح القدس الناري .

كان التلاميذ المجتمعون في حالة خشوع وصلاة يقدمون ذبائح شكر
من شفاء معترفة بفضل الرب يسوع ؛ فكانت إستجابة الرب من السماء كما هو
العادة بنار إستقرت على كل واحد منهم ...

كانت النار الإلهية قديماً تأكل الذبيحة كلها ، لأن الذبيحة كانت تحمل
خطايا مقدمها ، ولكن نار يوم الخميس لم تحرق التلاميذ لأن خطايا التلاميذ
حملها الرب في جسده على الخشبة ...

نار يوم الخميس كانت للانارة والتطهير ... ، وجدت تلاميذ مجتمعين باسم
الرب بأذهان مستعدة لقبول الحق ، لذلك إستقرت عليهم النار على هيئة لسان ...
واللسان الناري يشير إلى معرفة الحق والنطق به : « متى جاء روح الحق فهو
يرشدكم إلى جميع الحق » ^(٢)

نحن وجدنا الريح يملأ المكان كله وجميع الحاضرين ، وكان هذا توضيحاً لعمل الله المتساوي في طبيعة الإنسان الواحدة ...

أما النار الالهية فنجدها تنقسم وتوزع على كل واحد منهم بمفرده توضيحاً لتقسيم المواهب حسب قياس قامة كل واحد في الإدراك والايان ...

إذن فالطبيعة البشرية تتجدد بالتساوى ، أما المواهب فتمنح بتقسيم وامتياز وتفاوت ...

ولكن لا نستطيع أن نقف عند حد الاستنارة في معنى المظهر الناري للروح القدس ، فنحن لازلنا نرى في السنة الروح القدس النارية التي استمرت على التلاميذ تعبيراً إلهياً عن معنى انسكاب محبة الله الملتبهة في قلوب التلاميذ ، وتقبل روح الغيرة المتأججة نحو الله «غيرة بيتك أكلتي»^(١) وتعبيراً عن سريان النار الالهية في طبيعة الإنسان العقلية واشتعالها لتكون ذبيحة حية ناطقة دأمة الاحتراق «من أجلك نمت كل النهار حسبنا كنعم للذبح»^(٢)

نار يوم الحسين كانت نار الله ، أنارت فكر الكنيسة بالحق والهبت قلب الإنسان الجديد بالحب الالهي والغيرة والبذل .

لقد تشاركت طبيعة الكنيسة البشرية في طبيعة الله النارية يوم الحسين ، ومن هذه الطبيعة ولد الإنسان الجديد .

الكنيسة إستوعبت في يوم الحسين نار الله فأخصبتها هذه النار وقدمتها وهي تعطي أثرها الآن لكل المولودين منها ...

لسنا في حاجة من جديد إلى السنة نارية كيوم الحسين ، لأننا لسنا أمماً بل نحن أولاد ؛ لسنا طبيعة والدة بل طبيعة مولودة ؛ الكنيسة هي الأم ذات الطبيعة الوالدة ...

الكنيسة أمٌ روحانية خلقها المسيح وأظهرها في العالم حديثاً بتجسده وأخصبها بالروح القدس يوم الحسين ، وهي الآن تلد بنين مقدسين من طبيعتها «المقدسة» المخصصة بنار الله : «ان قدرته الالهية قد وهبت لنا ما هو للحياة

(١) مز ٦٩ : ٩ - (٢) رو ٨ : ٣٦

والتقوى ... لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية»^(١) . نار يوم الحسنيين هي من قدرة الله ، هي قوة فائقة من عند الله جاءت فقدست الانسان ...

التقديس هو اشتراك في طبيعة الله « صرنا شركاء الطبيعة الإلهية » ، « كونوا قديسين لأنني أنا قدوس »^(٢) ، التقديس من وجهة طبيعة الله نراه فعلا نارياً ، وبالنسبة لأقانيم الله وجدناه من اختصاص الروح القدس !!!
الروح القدس ... يقُدِّس ...

الروح القدس سبق قدس بطن العذراء ليتصور المسيح فيها ويولد .

وفي يوم الحسنيين قدس الطبيعة البشرية ككنيسة ليتصور فيها إنسانا الجديد حسب يسوع المسيح ويولد .

نحن نولد من بطن كنيسة قدست « بنار الله » بالروح القدس .

أليس هذا ما وعد به سابقاً « هو سيعمدهم بالروح القدس ونار »^(٣) .

حينما نعتمد الآن في الكنيسة نولد مقدسين لأن كنيستنا « مقدسة » .

أليس هذا هو لقبها الأول : « كنيسة مقدسة جامعة رسولية أرثوذكسية » .

الكنيسة اعتمدت « بالروح القدس ونار » ، وأما نحن فنولد من معموديتها « بالماء والروح »^(٤) ...

النار تحرق كل حياة أرضية وتبيدها ، لذلك إذا هي اقترنت بالروح القدس « روح القدس ونار » تعنى حتما حياة إلهية محضة خالية من كل ما هو أرضي .. هذه هي طبيعة الكنيسة ، إلهية في كل شيء وبكل معنى ، خالدة ...

أما الماء فهو يحيي كل ما على الأرض ، ولا شيء يمكن أن يحيا على الأرض بدون ماء !!! لذلك حينما يقترن الماء بالروح القدس فهو يعنى حياة بشرية على الأرض ولكن حسب الله !!! . وهذه هي طبيعة كل من يولد من الكنيسة : يحيا على الأرض ولكن « ليس حسب الجسد بل حسب الروح »^(٥) .

(١) ٢ بط ١ : ٤ و٣

(٢) ١ بط ١ : ١٦

(٣) مت ٣ : ١١

(٤) رو ٨ : ١

(٥) يو ٣ : ٥

ثالثاً - في أقنوم العنصرة

(١) اقنوم الروح القدس

« متى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى »^(١)

في كتاب العهد القديم نقرأ عن أنواع من الحلول ، مفاجئة فردية « لروح الرب »^(٢) ، حينما كان يحل على الأنبياء متكلماً فيهم ؛ ولكن لم يكن حلولاً أقنومياً ، بل بقوته الكاشفة للحاضر والمستقبل وفعلة التنبؤى فقط ... لم يكن له في العهد القديم أثر واضح دائم في طبيعة الانسان ...
أما ابتداء من يوم الحسين فهو يحل بكل هباته وعطاياه ، يحل بشخصه كمحي ومعزى ومبكت ...

كان يُعرف في العهد القديم بـ « روح الرب » ، أما في يوم الحسين فاستعملن اقنومه المتميز «الروح القدس» واستعملت صفته الخصوصية «الباركليت» (= المعزى) والقديس باسيليوس في رسالته عن الروح القدس يصفه هكذا :

[إن اسمه الخاص الذى يكشف عن طبيعته هو «الروح القدس» وهو يتم عن خلوه من معنى المادة خلواً مطلقاً ، وعدم تجسده بهيئة ماء ، كما يكشف ضمناً عن عدم قابليته للانقسام . . . والاسم ينص على أنه مصدر التقديس]^(٣)

أما عن كلمة « باركليت » التى ترجمتها « المعزى » فيقول القديس باسيليوس :

[يدعى الروح القدس « بالباركليت » كما يدعى الابن « بالوحيد » ، والمسيح نفسه قال « وأنا أطلب من الآب فيعطىكم معزياً آخر ليتمكم معكم إلى الأبد » — حيث هنا كلمة « معزى » ترجمة لكلمة « باركليت »]^(٤)

وفي الحقيقة نجد أن عمل الروح القدس وتعرفنا عليه كأقنوم قد بدأ

(١) يو ١٥ : ٢٦

(٢) أش ٦١ : ٦

(٣) Basil, *On the Spirit*, Hom. IX

(٤) Basil, *On the Spirit*, Hom. XIX

قبل يوم الحسين ، إذ نقرأ عنه انه حل على العذراء بصفته الأقمومية لتحمل في بطنها الابن متجسداً . . .

ثم نقرأ عنه في عماد الرب لما حل عليه في الأردن ليمسحه للخدمة . ثم مرة أخرى أنه أقام الرب يسوع المسيح حياً من بين الأموات .

من هذا نتبين العلاقة الوثيقة التي بين الروح القدس والمسيح ، فسواء قديماً في النبوات ، أم حديثاً في الميلاد والعماد والقيامة ، نجد الروح مُعلنًا المسيح !! ونحن في العنصرة لم نستقبل الروح القدس لتعزى به عوض المسيح ؛ فالروح القدس جاء ليشهد للمسيح ويهيئنا للاتحاد به ، وهو لا يزال يعمل لهذا ولن يكف عنه إلى الأبد « يكثر معكم إلى الأبد » . « لا يتكلم من نفسه . . . ذاك يمجدي لأنه يأخذ مما لي ويخبركم . »

فغاية الروح القدس هي أن يعرفنا المسيح ؛ كما أن غاية المسيح أن يعرفنا الآب ؛ فكما أن « ليس أحد يأتي إلى الآب إلاّ بي (المسيح) » (١) كذلك أيضاً « لا يستطيع أحد أن يقول أن المسيح رب إلا بالروح » (٢)

إذن فليس للروح القدس عمل منفصل عن عمل الابن ؛ بل إنه يعمل فينا ليكون إنساننا الجديد له «سمات الرب يسوع» (٣) ويكون «المسيح حياتنا» (٤) ويصير لنا «فكر المسيح» (٥) ، «ويحل المسيح بالإيمان في قلوبكم» (٦) ، وأن نكون «أعضاء المسيح» «من لحمه وعظامه» (٧) . . . غاية الروح القدس فينا هي المسيح . . . أن يشهد فينا له ، وأن يشهد لنا أمام الآب . . . أن يقدسنا في المسيح ويقدمنا بالمسيح إلى الآب . . . لهذا ولهذا فقط أرسله المسيح من عند الآب !!

إن الروح القدس هو الاقنوم الثالث ؛ هو الرب المحيي ؛ نخبه ونعبده في شخصه مع الابن والآب بلاهوت واحد .

قلنا : إنه اقنوم العنصرة ، أى الاقنوم الذى استعلن لنا يوم الحسين بكل

- | | | |
|-----------------|-----------------|-----------------|
| (١) يو ١٤ : ١٦ | (٢) ١ كو ١٢ : ٣ | (٣) ١ كو ٦ : ١٧ |
| (٤) ١ كو ٣ : ٤ | (٥) ١ كو ٢ : ١٦ | (٦) ١ كو ٣ : ١٧ |
| (٧) ١ كو ٥ : ٣٠ | (٨) ١ كو ٤ : ١ | |

بهائه وضيائه وعظمته... روح الحق الذي يعلمنا أن نسجد بالروح والحق ؛ لهذا رتبت الكنيسة الرشيدة المؤيَّدة بالروح القدس أن تكون صلوات عيد الغصرة والجميع سجوداً « ولكن تأتي ساعة وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق ، لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له ، الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا » (١) .

جميع الناس يسجدون لله ولكن قليلين من يسجدون لله بالروح والحق !
الكنيسة تعيد للغصرة وهي ساجدة إكراماً للاقوم الثالث الذي علمنا الحق !
الغصرة عيد السجود لله بالروح والحق ...

(ب) عرفة الروح القدس بالآب والابن :

« ومتى جاء المعزى الذي سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي » (٢)
لسنا في صدد بحث لاهوتي ؛ ولكن قول المسيح « أرسله أنا إليكم من الآب » أجبرنا ان نتتبع المعنى اللاهوتي في كلمتي « الانبثاق » و « الارسال » .
لوتعمقنا معنى الانبثاق نفهمه أنه دوام الانبعاث كانبعاث النور من مصدره أو كانبعاث الروح من مصدر الحياة ، حتى ان كلمة « انبعاث » في الأصل العبري تحمل تماماً معنى « الانبثاق » .

وقد رجعنا إلى القديس باسيليوس في إحدى رسائله عن الروح القدس فوجدناه يتكلم عن الانبثاق هكذا : [الروح القدس الذي من نبعه تستمد كل الخليقة صلاحها هو متصل بالابن ولا يُدرك إلا متصلاً به ، أما كيانه فيأخذ من الآب الذي ينبثق منه... الابن هو الذي يعلن الروح القدس ؛ الروح القدس ينبثق من الآب في الابن ... الروح القدس يستعلن في الابن وبه] (٣) .

(١) يو ٤ : ٢٣ و ٢٤ (٢) يو ١٥ : ٢٦

(٣) Basil Letters, XXXVIII, LII

وقول القديس باسيليوس ينير عقلنا جداً وخصوصاً في جعل الانبثاق شديد الوضوح أنه من الآب فقط ولا يمكن ان يكون من الآب والابن إذ جعل الانبثاق فعلاً غائباً أى له غاية ، وغايته تنصب في الابن : منبثق من الآب في الابن .

إذن لا يمكن ان يكون منبثقاً من الآب والابن وإلاّ لزم ان يكون منبثقاً منهما في آخر أو إلى آخر ، ومن يكون هذا الآخر ؟

لا يمكن ان يكون العالم أو الانسان ، لأن هذا معناه : إما ان يكون العالم أو الانسان قائماً أزلياً كأزلية الانبثاق ! وإما ان الانبثاق نفسه — المتعلق بالعالم أو الانسان (الغير أزلي) — هو أيضاً غير أزلي ، وكلا الوضعين خطأ .

أما إذا قيل أن الروح القدس منبثق من الآب والابن إلى لا شيء ، فهنا آصاب كلمة «الانبثاق» بعجز كلي يفقدها معناها ومبناها ، كأن تقول مثلاً : إن النور منبثق من المصباح إلى لا شيء ، فالنور إن لم يكن له ما يستقبله كيف يدعى نوراً وكيف يقال أنه منبثق ؟

كذلك الروح القدس هو روح ونور وحق وحياء وحب منبثق من الآب ومستقر في الابن ، معلن في الابن ومستعلن أيضاً بالابن ؛ وعلى هذا الأساس استطاع المسيح أن يرسله من عند الآب !!

(ح) ارسال الروح القدس الى الكنيسة

لقد استُعلنت الكنيسة أول ما استُعلنت في تجسد الابن ؛ لأن اتحاد اللاهوت بالناسوت هو في الواقع أصل ومعنى وحقيقة الكنيسة (اجتماع الله بالناس) .

لذلك فظهور الله في جسد إنسان هو أول استعلان لطبيعة الكنيسة ، وتحقيق وجودها عملياً على الأرض .

الروح القدس كان واسطة هذا الاتحاد السرى الذى تم بين بين اللاهوت والناسوت ؛ فقد تسلمنا من التقليد الشريف أن بطن العذراء حملت نار اللاهوت كما حملت العليقة نار الله وهى مشتعلة فيها دون أن تحترق « لأن الذى جبل به

فيها هو من الروح القدس» (١) .

فاذا نحن نظرنا إلى المسيح المولود من العذراء من وجهة اللاهوت الكنسي لتيقنا أنه هو هو الكنيسة في معناها الالهي المطلق ، وما بقي علينا بعد ذلك إلا أن نبحت كيف تتحد بهذه الكنيسة ، أو كيف نصير نحن كنيسة !

معروف أن جسد المسيح الالهي هو الكنيسة « إياه جعل رأساً فوق كل شيء للكنيسة التي هي جسده ملاء الذي يملأ الكل في الكل » (٢) .

إذن الاتحاد بالكنيسة يعني بلا شك الاتحاد بالجسد الالهي ... لا يمكن الاتحاد بالجسد الالهي إلا بتوسط الروح القدس ... ويشترط ان يتم هذا الاتحاد بفعل الايمان ؛ لذلك فهو لا يتم بالعيان المنظور أو المحسوس وإنما سرّاً ... إذن فجاء الروح القدس أمر لازم لاتحادنا بالكنيسة ، واختفاء جسد المسيح المنظور أمر لازم لتكميل هذا الاتحاد بالايمان ... بهذا نفهم قول المسيح : « إنه خير لكم أن أنطلق ؛ لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى ؛ ولكن إن ذهبت أرسله إليكم » ... (٣)

هذا حق ومنطقي أيضاً أن لا يأتي الروح القدس ليعمد الكنيسة الجديدة الجامعة طالما كانت الكنيسة الوحيدة جسد ربنا يسوع قائمة منظورة على الأرض .
كان يلزم بالفعل أن ينطلق المسيح بجسده المنظور وبشخصه المعزى فيرسل معزياً آخر مساوياً له أي الروح القدس « وأنا أطلب من الآب أن يعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد » (٤) لكي بتوسطه يصنع من جسده الالهي السرى الكنيسة الجامعة ...

رابعاً - في سر العنصرة

(أو ماذا تم بين المسيح والكنيسة بحلول الروح القدس) :

لما انسكب الروح القدس على التلاميذ حصل تجديد واضح في طبيعتهم ؛ بل نستطيع أن نقول أن طبيعتهم تغيرت معالمها تغييراً كلياً ؛ لقد صاروا شيئاً

(١) مت ١ : ٢٠ . (٢) أفس ١ : ٢٢ و٢٣

(٣) يو ١٦ : ٧ . (٤) يو ١٤ : ١٦

جديداً أو بلغة الكتاب صاروا أناساً آخرين . . . واصبح التلاميذ المجتمعون في
العلية قوة جديدة من نوع لم تألفه البشرية قبل ذلك . . .

ويهمنا أن نلاحظ أن التغيير أو التجديد لم يكن فردياً بل جماعياً . . .

لم يكن هذا نتيجة قوة مبهمه حدثت عفواً على التلاميذ فألهبتهم للخدمة أو
منحتهم السنة جديدة وشجاعة للعمل كما يظن بعض المحدثين ؛ ولكن كان هذا
نتيجة تغير جوهرى أصاب طبيعة التلاميذ في صميم كيانها ؛ أما هذه المواهب
وهذه التغييرات التي ظهرت على التلاميذ في حياتهم وسلوكهم فكانت مظاهر
و نتائج ثانوية تنبىء بما حدث في الطبيعة البشرية مثله في التلاميذ والرسل الذين
تعتبرهم الكنيسة الأولى « كنيسته الرسل »

أما ماذا حدث لطبيعة الكنيسة الأولى وقت حلول الروح القدس فنستطيع
أن ندركه من الملابس التي رافقت حلول الروح القدس ومن النتائج التي ترتبت
على هذا الحلول : —

(١) الهيبة التي حل بها الروح القدس يوم الخمسين :

لم يحل الروح القدس بهيئة حمامة في وسط مياه الأردن ليعطى قوة العمامة
بالماء والروح بل حلّ بالسنة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم . . .
اذن فنحن أمام «عليقة مشتعلة بالنار» حسب الرمز ، أو طبيعة إلهية متحدة بطبيعة
بشرية حسب شرح الرمز أو صورة النبوة بميلاد المسيح من العذراء كما تسألنا
من التقليد الشريف !!

اذن حلول الروح القدس يوم الخمسين لا يشير إلى منح قوة روحية مجردة
أو منح عطايا ومواهب جزافاً ، بل الأمر جد خطير فهنا إشارة سرية إلى
أنه حدث اتحاد غير منظور بين طبيعة إلهية وطبيعة بشرية ، وماذا تكون
الطبيعة الإلهية لإجسد المسيح السرى بالذات الذى سبق المسيح وأشار إلى أخذه
وأكله والاتحاد به والثبوت فيه !! كان لا يمكن ولا يستطيع التلاميذ أن
يتقبلوا الطبيعة الإلهية بدون المسيح بل ولم يكن ممكناً أن يتقبلوا الروح القدس
كأقنوم إلا على أساس الاتحاد بجسد المسيح ، فالجسد الإلهي هو الطريق الوحيد
الذى يوصلنا بالله ، ويوصل الله بنا « فاذا لنا أيها الأخوة ثقة بالدخول إلى

الأقداس بدم يسوع طريقاً كرسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أى جسده « (١) » .

إذن غاية التجسد الإلهي قد بلغت ذروتها يوم الخميس حينما صار الكل في المسيح « ملء الذي يملأ الكل » (٢) فالجسد الإلهي المعبر عنه « بملء اللاهوت جسدياً » (٣) صرنا منذ يوم الخميس « مملوئين فيه »

لقد اتحد المسيح بالكنيسة فاكتمت الكنيسة كل ما للمسيح . . . لقد صار وكمل في العلية ما بدىء به في بيت لحم . لقد ولد المسيح في بيت لحم لتولد الكنيسة في العلية . . .

(ب) النتائج التي ترتبت على حلول الروح يوم الخميس

بعد حلول الروح القدس يوم الخميس قامت الكنيسة فوراً وانطلقت تخدم المعمودية وتجدد الآخرين ؛ بأى سلطان فعلت الكنيسة هذا ؟ هل خدمة المعمودية كانت بسلطان الروح القدس ؟ إن كان الأمر كذلك فكيف يستقيم معنى الآية « الذى ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذى يعمد بالروح القدس » (٤) . . .

إذن لا يمكن أن يكون الروح القدس هو الذى يعمد بالروح القدس !! بل المسيح نفسه هو صاحب السلطان في التعميد . . . هو يعمد بالروح القدس . . .

وما هو العمد إلا الشركة مع الرب ، شركة اتحاد فعلي في موته ودفنه وقيامته ؛ فمن الذى يستطيع أن يعطى سلطان الموت والدفن والقيامة إلا صاحب السلطان فيها !!

إذن فالكنيسة انطلقت تعمد لا بقوة مجردة هببت على التلاميذ ، ولا كهنة خاصة من الروح القدس ، ولا حتى بسلطان الروح القدس ؛ ولكن المسيح نفسه بشخصه هو الذى كان يعمد بالروح القدس بسلطانه الشخصي غير المنظور . . . وهو لا يزال يعمد حتى الآن . . . فيجب أن تفرق الكنيسة بين الكاهن

(١) عب ١٠ : ١٩ - (٢) افس ١ : ٢٣ - (٢) كو ٢ : ٩

(٤) يو ١ : ٣٣

الذي يخدم السرَّ وبين المسيح مجرى السرِّ بسلطانه الشخصي بتوسط الروح القدس .

ومن هذا يتضح لنا أن النتائج التي أسفر عنها حلول الروح القدس يوم الحسين واهمها وأخصها قدرة الكنيسة على العهد الذي يتضمن إعطاء طبيعة جديدة مخلوقة في المسيح ؛ يشير إشارة واضحة صريحة أن الكنيسة قبلت يوم الحسين شخص المسيح ، مسيح الأردن المسيح المعمد . وبذلك كملت شهادة الوحي التي أشار إليها يوحنا المعمدان يوم أن رأى المسيح « وأنا لم أكن أعرفه ، ولكن الذي أرسلني لأعمد بالماء ذلك قال لي الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس » .

القديس أغسطينوس يوضح هذا المعنى ويؤكد [ربما يدهشكم ان تقرأوا عن يسوع أنه «هو الذي يعمد بالروح القدس» ثم يعود الكتاب يقول «مع أن يسوع لم يكن يعمد بل تلاميذه» فما هو هذا الأمر هل هناك نصّ خطأ وقع ثم عاد الوحي فصححه ؟ وحاشا ، أم أن كلا النصين صحيح وأن يسوع فعلاً كان يعمد ولا يعمد ؟ الحقيقة هي أن المسيح كان يعمد بقوة سلطانه بينما كان تلاميذه يعمدون الجسد بأيديهم ، وهو لم يكف عن التعميد لأن تعميده كان تطهيراً — والتطهير لا يُرى — ، ويسوع لا يزال يعمد حتى الآن ، لأنه طالما نحن نعتمد في يسوع هو المعمد .

[إن سلطان المعمودية الذي أخذه الرب «هو سيعمد بالروح القدس» لم يعطه لأي خادم بل احتفظ بسلطانه حتى أن كل الذين اعتمدوا من أيدي خدام (كهنة) لا يجوز ان ينسبوا معموديتهم للخدام بل للرب نفسه .

[إن سلطان التعميد لم ينتقل من الرب إلى أي إنسان، غير أن خدمة التعميد قد صارت للآخرين ، السلطان ذاته لم ينتقل إلى احد أما الخدمة فأعطاها للصالح وغير الصالح] (١).

لذلك نجد الكنائس القبطية القديمة تحتفظ في بيت المعمودية فوق حرن المعمودية مباشرة وإلى جهة الشرق بصورة للسيد الرب خارجاً من ماء الأردن

(١) Augustine, *Hom. Gosp. of John*, 1:33 (9) and 4:2 (3,4)

وعليه الروح القدس بشبه حمامة لتعبر عن شهادة إيمانها أن المسيح هو الذى يعمد طبقاً لشهادة الوحي التى نطق بها يوحنا «الذى ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذى يعمد بالروح القدس».

هذا هو سر العنصرة ، هذا هو الذى تم يوم الحسين بين المسيح والكنيسة: المسيح إتحد بالكنيسة بجسده الالهى فصار للكنيسة طبيعة جديدة مخلوقة فى المسيح يسوع ، وقبلت الكنيسة تبعاً لذلك شخص يسوع المسوح بالروح القدس ، مسيح الأردن ، خادم الجليل ، واعظ الناصرة ...

الكنيسة بعد أن حلّ المسيح فيها صارت تعمد مباشرة ، لم تكن هى التى صارت تعمد بالماء والروح القدس بل مسيحها شخصياً رأسها غير المنظور .

حينما مُسح المسيح بالروح فى الأردن ليباشر خدمة التعميد صار هو المعمد منذ ذلك اليوم إلى وقتنا هذا وإلى نهاية كل الدهور . .

«دُفِع إلى كل سلطان فى السماء وعلى الأرض . . فاذهبوا . . وعمدوهم . . وها أنا معكم» (١) .

أما الكنيسة فصارت تد له بنين من بطنها التى هى المعمودية المقدسة بعد أن «تمخض بهم» (٢) (تعظمهم بكلمة الخلاص) إلى أن «يتصور المسيح فيهم» (أى يكمل إيمانهم بالمسيح) . . .

خامساً - فى إنسان العنصرة

هذا هو محور العنصرة ، قوة يوم الحسين ، عمل الروح القدس ، غاية المسيح من بيت لحم حتى الجلجثة ، موعد الآب الذى تكلم عنه جميع الأنبياء !! الانسان الجديد الذى نلبسه فى المعمودية هو عمل الأقانيم الثلاثة الالهية فى طبيعتنا البشرية لتجديد خلقها من الصورة الأدمية الترابية إلى الصورة المسيحية الالهية . . .

نحن نخلع فى المعمودية آدميتنا العتيقة بناموسها ، لنلبس مسيحيتنا الجديدة

(١) مت ٢٨: ١٧ و ١٩ و ٢٠ (٢) غلا ٤: ١٩

ببرها . . . » إذا كان أحد في المسيح فهو خليفة جديدة الأشياء العتيقة قد مضت
هوذا الكل قد صار جديداً « (١) . . .

(١) عمل الآب في الإنسان الجدير

إن كل حوادث يوم الخمسين لم تكن جديدة على فكر المتبعين للنبوات ؛
فقد سبق الله وأوحى إلى أنبيائه بطرق متنوعة عن إتيان يوم جديد فيه يتغير
قلب الإنسان وفكره وروحه ؛ ولكن لم يخص الله الأنبياء مثلما خص يوثيل
النبي بالحديث والتنبؤ عن يوم العنصرة حتى دعى من دون جميع الأنبياء بنبي
العنصرة .

تكلم يوثيل النبي عن مجيء اليوم الذي سيسكب فيه الله روحه على كل
بشر ؛ وظلت هذه النبوة بصفة خاصة تدعى موعد الآب ، لأنها تخص بوعد
الله إرسال روحه في إرسالية عمومية للإنسان « هذا ما قيل يوثيل النبي : يقول
الله ويكون في الأيام الأخيرة اني اسكب من روجي على كل بشر . . . » (٢) .

ويعود السيد المسيح يذكر تلاميذه قبل صعوده مباشرة بهذه النبوة التي
على ما يظن كان قد شرحها لهم وفسرها بتدقيق ودعاها « موعد الآب » :
« وفيما هو مجتمع معهم أوصاهم أن لا يرحوا من أورشليم بل ينتظروا موعد
الآب الذي سمعتموه مني . »

وحدث لما حل الروح القدس واندثرت الحاضرون لما رأوا وسمعوا من
حوادث ذلك اليوم العظيم ، أن تذكر بطرس كلام المسيح عن هذه النبوة
بالذات فقام وأخذ يشرح وعد الآب يوثيل النبي « فوقف بطرس مع الأحد عشر
ورفع صوته وقال لهم : أيها الرجال اليهود والساكنون في أورشليم أجمعون . . .
هذا ما قيل يوثيل النبي » (٣) وأخذ يشرح لهم موعد الآب كما سمعوه من المسيح . . .
واستطرد إلى أن أكد أن الروح القدس الذي يروونه ويسمعونه هو من الآب
أرسله المسيح حسب وعده » وإذا ارتفع يمين الله وأخذ موعد الروح القدس

(٣) اع ٢ : ١٦

(٢) اع ٢ : ١٦

(١) ٢ كوه : ١٧

من الآب ، سكب هذا الذي أنتم الآن تبصرونه وتسمعون» (١).

لذلك فنحن نعتبر أن الخليقة الجديدة التي أكملها يسوع فينا على صورته في المعمودية بالروح القدس هي أصلاً وعد الآب .

وحتى هذه الصورة الجديدة التي أخذناها في المعمودية التي هي صورة ربنا يسوع المسيح « في البر والقداسة والحق » لو تعمقنا أصولها لوجدناها هي أيضاً من عمل الآب ؛ بل هي امتداد لبهاء صورة الله الآب غير المنظور . فنحن نقرأ لبولس الرسول في الرسالة الثانية لكورنثيه « المسيح الذي هو صورة الله » ثم نعود فنقرأ له في نفس الرسالة كيف تتحول نحن بواسطة الروح القدس إلى هذه الصورة المحيية عنها !! . . . « ونحن جميعاً ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة تتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح » (٢).

وربما نستكثر على أنفسنا ولا نعقل بالمرة كيف أن صورتنا تكون ممجدة أو أنها تزداد في المجد على شبه صورة الابن ، أو بالحرى على شبه صورة بهاء مجد الله الآب . ولكن أليست خلقتنا الأولى تمت وكملت لتكون على صورة الله « نخلق على صورتنا » متكلماً بصيغة الجمع مشيراً إلى الأقانيم الثلاثة ؟ !! أية صورة محيية هذه ! أنها أخفيت عن أعيننا بسبب الخطية . . .

ولكن نحن في المعمودية نغتسل ونتظهر من وسخ الخطية ؛ الروح القدس يقدسنا ويجددنا لنحمل مرة أخرى صورة خالقنا في المجد والكرامة « إذ خلعتن الإنسان العتيق مع أعماله ولبستم الجديد الذي يتجدد حسب صورة خالقه !!! » (٣).

ولكن الإنسان الجديد لا يستعلن تماماً الآن بالرغم من أننا نلبسه لباساً ، فهو يظل كامناً فينا نحسّه ويحسّه الآخرون فينا ولكن لانراه . . . نحن نعيش فيه ولكن في سرّ ، إلى أن يستعلن تماماً بمجىء الرب : « أيها الأحياء الآن نحن أولاد الله ، ولم يظهر بعد ماذا سنكون ولكن نعلم أنه إذا أظهر المسيح نكون مثله لأننا سنراه كما هو » (٤)

(٣) كو ٣ : ١٠ و ٩

(٢) كو ٢ : ٣ و ١٨

(١) اع ٢ : ٣٣

(٤) يو ١ : ٣ و ٢

ولو عدنا إلى حادثة تجلي الرب نقرأ هكذا « وإذا رجلان يتكلمان معه
وهما موسى وإيليا اللذان ظهرا بمجد »^(١) ، حينما نخلع هذا الجسد الترابي ،
يظهر أيضاً مجد الداخل ، هو مخفي عن أعيننا الآن إلى أن نخلع العتيق تماماً . . .
سنخلعه يوم مجيء الرب فنوجد معه في المجد !! « لأنكم قد مُتُّم وحياتكم
مستترة مع المسيح في الله . متى أظهر المسيح حياتنا حينئذ نظهرون أتم أيضاً
معة في المجد »^(٢)

ويلد لنا أن نعود بهذا المجد إلى مصدره ومنبعه ؛ فالإنسان الجديد المجيد
الذي يخلقه فينا الرب يسوع ، هو في الواقع استجابة لمشيئة الله الآب « أن
تلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله »^(٣)

والمجد الذي سيقوم به هذا الإنسان الجديد عند استعلان ومجيء الرب
يسوع هو بعينه المجد الذي قام به يسوع من الأموات ؛ أما المجد الذي قام به
المسيح فهو بعينه مجد الآب !! . . . « كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب
هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة »^(٤)

الآن كم هو جليل حقاً أن نكتشف عمل الآب في خلقه إنساناً الجديد !!
أما هذا العمل الجليل فينحصر نوعاً ما كما رأينا ، فهو إعادة صورة مجده في جبلتنا
حسب سابق حكمته في خلقتنا لاعدادنا للحياة « معه في المجد » .

(ب) عمل الابن في الانسان الجديد :

١ — أثر موت المسيح في حياتنا

إن لم تقع حبة الخنطة في الأرض أولاً وتموت ؛ فلا ينتظر أن نحصد قمحاً
جديداً

فإن كان لنا أن نفتخر بإنساننا الجديد الذي تناله بالروح القدس في
العمودية فما ذلك الا على أساس القوة التي حصلنا عليها بموت الرب والتي بمقتضاها
استطعنا أن نخلع العتيق !! . . . هذه القوة اللازمة لخلع العتيق تساوى في عمقها

(١) لو ٩ : ٣٠ (٢) كو ٣ : ٣ (٣) أفس ٤ : ٢٢

(٤) رو ٦ : ٤

اللاهوتى القوة اللازمة لانبعث الانسان الجديد !! ؛ هذه الحقيقة تتضح لنا أكثر حينما نعلم أنه لكي نحيا ولكي نصير خليفة جديدة، مات الرب على الصليب!! ونحن نعلم أن « الموت الذى ماتة (الرب) قد ماتة للخطية » . (١) إذن فموت الرب رفع عنا الخطية التى هى سبب موتنا . . . وهكذا نرى أن موت الرب أحيانا . . . « ونحن أموات بالخطايا أحيانا مع المسيح » (٢) .

فى المعمودية نحن نشترك فى موت الرب ، والاشترك فى موت الرب هو نفسه اشترك فى حياته بلا شك

٢ — المسيح يجاهد معنا بعد المعمودية :

قوة موت الرب لا تزال تهينا سلطة أيضاً على الخطية حتى بعد المعمودية ، المعمودية لا تلغى الخطية ولكن الروح القدس يهينا قوة ضد الخطية تستمر معنا كل أيام حياتنا . . .

نحن نمجد الشيطان والخطية فى المعمودية ، وبعد المعمودية نجاهد ضدها « احسبوا أنفسكم أمواتا عن الخطية . . . لا تملك الخطية فى جسدكم المات لكى تطيعوها فى شهواته . . . فان الخطية لن تسودكم » . (٣)

فى المعمودية نحن نتحرر من سلطان الشيطان بقبولنا المسيح الهاً ، نحن نمجد الشيطان علناً تحقيقاً لقبولنا المسيح الهاً . . .

المسيح فى المعمودية يطرد عنا الشيطان كما كان يطرده من الذين عليهم الأرواح النجسة فى الجليل أو فى الناصرة ، . . . سلطانه لا يزال يده . . .

المسيح فى المعمودية يمارس خدمته الأولى ، يشفى كل مرض وكل سقم فى الكنيسة ويطرد الأرواح النجسة . . .

المسيح لما اعتمد فى الأردن وحل عليه الروح القدس ، أصعده الروح إلى البرية ليحرب من ابليس ؛ نحن نأخذ المسيح فى المعمودية وفى الحال يشهد لنا الروح أننا صرنا أولاد لله . . . ولكن بعد ذلك يصعدنا الروح إلى برية العالم لنحرب من ابليس ! . . .

(١) روم ٦ : ١٠ (٢) افس ٢ : ٥ (٣) روم ٦ : ١١ و١٢ و١٤

نحن لانزال بعد المعمودية نكمل قوة المعمودية ، التوبة هي قوة المعمودية!
 في المعمودية نأخذ صورة المسيح في انساننا الجديد ، وبعد المعمودية
 نمتى حواس هذه الطبيعة الجديدة ، وندر بها في البر والقداسة والحق كما يحق
 « للانسان الجديد المخلوق حسب الله » . مركز المسيح بالنسبة للانسان الجديد
 هو الأصل الذي تنحدر منه الصورة ؛ وهو مجد هذه الصورة ؛ والطبيعة التي
 تستمد منها صفاتها ، والقوة التي تتخذ منها كيانها الدائم ووجودها في الحاضر
 والمستقبل .

الانسان الجديد المخلوق في المسيح يسوع حسب الله في البر وقداسة الحق
 سيظل في صراع دائم ضد العالم والجسد والشيطان ؛ بعد المعمودية . . .

ابليس ترك المسيح بعد تجربة الجبل إلى حين ، . . . ابليس عاد إلى
 المسيح ليجر به فينا ، المسيح فينا لا يزال يواجه العدو هو يحارب عنا ولكنه
 لا يستطيع أن يحارب عنا بدوننا . . .

صراعنا مع العدو مضمون النصر إن كنا نلتفت إلى المحارب عنا « ناظرين
 إلى رئيس الايمان ومكمله يسوع » (١)

هذا الصراع الدائم « من أجلك نمت كل النهار » (٢) هو صراع لذيذ
 سماه بولس « الجهاد الحسن » (٣) ، بولس أكمله بالايمان وعبر . . . سوف
 نرى في بعض الكلمات القليلة القادمة حينما نتكلم عن المسحة المقدسة ، أن صورة
 الانسان الجديد محتومة بختم المسيح والختم يحمل صورة صاحبه .

نحن معتبرون ملكا ليسوع المسيح كغنمة مشتراه لتقدم ذبيحة طاهرة
 أو كعبد مشتري لخدمة سيده أو كجندي صالح يحارب حروب الرب . . .

ولكن الختم لا يحمل صورة رمزية مكتوبة بأحرف ميتة بل صورة حية ناطقة
 متحركة « نحيا وتتحرك ونوجد به » (٤) ؛ ختم المسيح هو صلة حية نستمد منها
 كل ما للمسيح حسب قياس قامتنا الروحية ، نحن نتمو في المسيح ، وليس لنمونا
 نهاية إلى أن نبلغ « إلى قياس قامته ملء المسيح » (٥) ، إلى أن نصل إلى حدود صورة
 المسيح فينا عينها « من مجد إلى مجد كما من الرب الروح » (٦) .

(١) عب. ١٢ : ٢ (٢) رو ٨ : ٣٦ (٣) ٢ تي ٤ : ٧
 (٤) اع ١٨ : ٢٨ (٥) افس ٤ : ١٣ (٦) ٢ كو ٣ : ١٨

وهنا نقف وقفة قصيرة نكشف فيها عن سر ارتباطنا بالمسيح بتأملنا في « حروف الجبر » التي استخدمها بولس الرسول بوفرة ليبرها عن صلتنا السرية واتحادنا الحفي يسوع المسيح الذي نستمد منه كيانتنا المسيحية ووجودنا :

دُفنا معه ، متحدين معه بشبه موته ، إنساننا العتيق صلب معه ، متنا مع المسيح ، سنحياً أيضاً معه ، أتم أحياء لله بالمسيح ، لا دينونة الآن على الذين هم في المسيح ، اختارنا الله فيه قبل تأسيس العالم ، الله عيننا للتبني يسوع المسيح ، سبق رجاؤنا في المسيح ، أحيانا مع المسيح ، أقامنا معه ، أجلسنا معه في السمويات في المسيح . . .

من هذه التعبيرات اللاهوتية التصوفية يتبين لنا أن صلتنا بالمسيح أو مع المسيح أو في المسيح هي صلة عجيبة ليست من نوع مألوف لدى الفكر ، لا يستطيع العقل أن يحيط بمعناها تماماً نحن نستطيع أن نحسها فقط في أعماقنا ، نحسها بالروح في الصلاة فنتحقق من صدق هذه التعبيرات ودقتها ، بولس الرسول كان يصف حالة داخلية تملأ كيانه ؛ إسمع وتأمل ما يقول بولس الرسول كأنه يصف رؤيا :

« لا أحيأ أنا بل المسيح يحيا في » (١)

« أما نحن فلنا فكر المسيح » (٢)

« ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم » (٣)

« لتمتلئوا إلى كل ملء الله » (٤)

« لأننا أعضاء جسمه من لحمه وعظامه » (٥)

« لأنكم كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح » (٦)

بماذا نستطيع أن نعلق على هذه المشاعر والأحاسيس الالهية الا أن نقول آمين . . .

| | | |
|----------------|-----------------|----------------|
| (١) غلا ٢ : ١٩ | (٢) ١ كو ٢ : ١٦ | (٣) افس ٣ : ١٧ |
| (٤) افس ٣ : ١٩ | (٥) افس ٥ : ٣٠ | (٦) غلا ٣ : ٢٧ |

وليس بولس فقط بل وآباء الكنيسة عاشوا في هذه الحقائق ، لبسوا المسيح لبساً وتغيروا إلى تلك الصورة عينها !!

اسمع القديس اغريغوريوس النزينزى يقول : [إن أجزاءنا التي لا تتغير إلى هذا الشكل تبقى عديمة الشفاء ...] (١)

ويشارك معه أيضاً القديس اغريغوريوس النيسى [نحن نعلم أن كلمة الله صار هو المسيح الرب ؛ وكل من يدركه يصير مثله] (٢)

ويشارك مع الاثنتين القديس يوحنا ذهبي الفم [الذي يعتمد للمسيح لا يولد من الله فقط بل أنه يلبس المسيح أيضاً ، ولأننا أخذ هذا على المعنى الأدبي كأنه عمل من أعمال المحبة ، بل الأمر حقيقة ، فالتجسد جعل اتحادنا بالمسيح واشترانا في الألوهة أمراً واقعاً] (٣)

وبولس كان حقاً يعيش في المسيح لأن المسيح كان حياته !! فهو لم يقل أن المسيح أحياء فقط بل قال «لى الحياة هي المسيح» (٤) بل قال أيضاً بصراحة ووضوح «متى أظهر المسيح حياتنا» (٥) فان كان بولس الرسول يحيا في المسيح ؛ أليس هو شريك اذن في الحياة الأبدية مع الله ؟ «هبته الله هي حياة أبدية بالمسيح» (٦)

«إننا وريثة أيضاً ، وريثة الله ، ووارثون مع المسيح» (٧) ويوحنا الرسول يدعم المعنى ويوضح كليتة صلتنا السرية بالمسيح باعتبار المسيح هو نفسه الحياة ، الحياة الأبدية بقوله : « الحياة أظهرت وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التي كانت عند الآب وأظهرت لنا . . . شركتنا هي مع الآب ومع ابنه» (٨)

Letter to Cledonius (١)

Antirrh. Adv. Apollin, 53 (٢)

Orthodox Spt. P. 58 (٣)

(٤) في ١ : ٢١

(٥) كو ٣ : ٤

(٦) رو ٦ : ٢٣

(٧) رو ٨ : ١٧

(٨) ١ يو ١ : ٣ و٢

أما حواس الانسان الجديد وسلوكه فلا يرى بولس الرسول أنها تستمد تجديدها فقط من المسيح ، بل أنها تعمل بالمسيح ، أو على الأصح أن المسيح يعمل بها ، فهي حواس المسيح أكثر من أن تكون حواسنا « يسوع المسيح الذي صار لنا حكمة من الله وبراً و قداسة وفداءً » (١)

إذن تأمل معي أيها القارئ في قيمة التجسد الالهى وفي قيمة المعمودية الرب وفي قيمة موته ، وفي قيمة قيامته ، وما آلت إليه كل هذه من نحونا حتى وكأنما لم تحدث حركة ما في السماء أو على الأرض منذ أول الدهور حتى هذا اليوم المحسن إلاّ وكانت تعمل لبناء الانسان الجديد في المسيح بالروح القدس

كم هي عميقة ومتسعة وعجيبة حدود خلاصنا ! وكم هي سهلة أيضاً !!
« كيف نتجو إن أهملنا خلاصاً هذا مقداره ؟ » (٢) .

(ج) عمل الروح القدس في الانسان الجديد

أولاً — الروح القدس والماء : أو الميلاد الثانى .

نحن أمام قضية نيقوديموس : كيف يولد الانسان ثانياً ؟

نترك هنا الكلام للقديس يوحنا ذهبى الفم ليرد على هذا السؤال :

[وكما أن قوة النار حينما تتسلط على عروق الذهب الغشيمة المختلطة بتراب الأرض ، فانها تتحول حالاً إلى ذهب نقي ؛ هكذا أيضاً بل وأكثر من هذا يعمل الروح القدس فى المعمودية فى الذين يغسلهم ؛ إذ يحولهم إلى ما هو أنقى من الذهب عوض الطين ، فحينما يحل الروح القدس « كالنار » فى نفوسنا يحرق أولاً « صورة الترابى » ليعطى « صورة السمائى » فتصير كعملة جديدة بهيئة متلائمة خارجة من أفران الصهر .

أما كيف يخلق الانسان جديداً من الماء بواسطة الروح ، فبنفس القوة والسر اللذين بهما خلق الانسان أولاً من تراب !! وكما تقوى التراب وتشدد

(١) اكو ١ : ٣٠ (٢) عب ٢ : ٣٠

بارادة الله وصار أعضاء وأجهزة جسدية كاملة ، هكذا وأكثر أيضاً يعمل الروح القدس بالماء صانعاً أموراً عجيبة وفائقة للعقل .

إذن فلا تشك في عمل الماء والروح في الانسان الجديد بسبب أنك لا ترى ؛ فأنت أيضاً لا ترى نفسك التي فيك [(١)]

ويعود نفس القديس يتكلم عن الميلاد الثاني أيضاً :

[ليس بأم وأب ، ليس باضطجاع بشر ولا بآلام المخاض نولد ثانية ، ولكن من الروح القدس تُصنع أنسجة طبيعتنا الجديدة ، وفي الماء نشكل ومن الماء نولد سرّاً كما من الرحم . . . الرحم يحتاج إلى زمان كثير ليتشكل فيه الجسد أما الماء والروح فثمةما تتشكل حياة الروح في لحظة في طرفة عين !! « المولود من الجسد جسد والمولود من الروح روح هو » [(٢)]

(١) الروح القدس صانع هياكلنا الجديدة وموهرها

نحن نعلم أن كل مولود يأخذ شكل والده ؛ ففي المعمودية نحن نولد وعلى أى شكل يكون إنساننا الجديد ؟

الروح القدس هو الذى يصنع هيكل إنساننا الجديد ، يصنعه من جسد المسيح السمى الذى يملأ السماء والأرض... المسيح دخل العلية والأبواب مغلقة دخلها بجسده بلحمه وعظامه ، ولما ظن التلاميذ أنه روح أراهم جسده ولمسوه ؛ لحم المسيح وعظامه يمكن أن ترى وتلمس ويمكن أن لا ترى ولا تلمس . نحن نولد من هذا اللحم ومن هذه العظام عينها « نحن من لحمه وعظامه » !!

الروح القدس يخلق هذا الهيكل الجديد من الجسد غير المنظور ، وبعد أن يخلقه يملأه « أتم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم » (٣) الروح القدس لا يخلق هيكلنا الجديد جزافاً ولكن حسب صورة ابن الله ؛ ليس من جهة منظر الجسد ولكن من جهة سمات الروح في كل شئ وبالأخص في الوداعة والطهارة

ST Chrysostom Hom. on G. of John, Hom X, (١)

ST Chrysostom Hom. on G. of John, Hom XXV (٢)

(٣) ٢١ : ٣

والحق « تلبسوا الانسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق » (١)
الروح القدس يقدر طبيعتنا الجديدة باستمرار لتحمل صورة المسيح « لأن
الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشاهدين صورة ابنه » (٢)

أما القديس أغسطينوس فلا يكتفى بمجرد التشابه ، بل يرى أن خلقتنا
الجديدة هي امتداد حقيقي في شخص المسيح [لنفرح ونسر وتقدم الشكر لاهنا
لأننا لم نصر فقط مسيحيين ، بل صرنا مسيحياناً ، أفهمون هذا أيها الأخوة
وتدركون مقدار النعمة التي حلت علينا (بالمعمودية) ، إعجبوا وشروا جدا
لقد صرنا مسيحياناً] (٣)

إذن فعل الروح القدس الأساسي في انساننا الجديد هو إعطائنا كل
ما للمسيح لتصبح مناسبين للاتحاد الدائم فيه .

لذلك بعد أن يلدنا الروح القدس في المعمودية ، ويشكلنا بطبيعة ابن الله ،
لا يسعه إلا أن « يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله » : « ورثة مع المسيح » إذ أنه
لا يرانا ذوات مستقلة عن المسيح ، بل يرانا قائمين في وحدة مع المسيح ؛ يرى
المسيح فينا ويرانا في المسيح . . .

والقديس اكليمنس الاسكندري يرى أن العامل الرئيسي في الإبقاء على
هذه الوحدة المتكاملة في المسيح هو الروح القدس .

« ليس بعد بربري أو يهودي أو يوناني ولا بعد رجل وامرأة بل الانسان
الجديد المخلوق ثانية بالروح القدس » (٤)

والقديس إيريناوس يعبر عن هذه الوحدة بمبدأ لاهوتي معروف في كل
كتابات مضمونه : إن المسيح استطاع بالروح القدس أن يركز البشرية في
جسده وفي شخصه فصار المسيح [رأساً وجسماً وشخصاً للانسان الجديد
المخلوق منه] (٥)

(١) أفس : ٤ : ٢٢

(٢) رو : ٨ : ٢٩

(٣) Augustine Hom on Gosp. of John Tract XXI, p 140

(٤) Source Chretienne II 2nd ed Paris p 180

(٥) P. G. VIII, 1082

والقديس يوحنا ذهبي الفم يرى أنها مقدره الهية فائقة أن يجمع المسيح المتضادات والمتخالفات ويوحدها بالروح القدس في جسده [مامعنى هذا؟ معناه أن المسيح جعل الكل ، وجمع أشتات المتخالفات في جسد واحد]^(١)

ونحن نرى مقارنة ذات اتجاه خلقى وذات غاية متقابلة بين آدم الأول وآدم الثانى (المسيح) : فأدم الأول كان الشخص الذي انقسمت منه ، وانقسمت بواسطته البشرية وتعددت وتلونت وتخالفت إلى اشكال وأجناس والسنة وأمم . . . وكان ذلك بسبب الخطية بتوسط الشيطان .

وجاء آدم الثانى المسيح الرب . وجمع البشرية مرة أخرى في شخصه ، وصالحها في طبيعته ووحدها في وحدته ؛ وذلك بسبب بره وقداسته بتوسط الروح القدس .

والقديس كيرلس الاسكندرى عمود الدين يضيف إلى هذا المعنى قولاً جديداً يجيء في موضعه ، حتى لا يتسرب إلى الذهن أن تمركز البشرية في شخص المسيح الذى ينادى به ايزيناوس يحمل مثلاً نوعاً من ضياع شخصياتنا وملاشاتها في انجماعها وتوحيدها بشخص المسيح فقال :

[إن الكنيسة التى هى جسم البشرية الجديد ، ولو أنها ذات طبيعة واحدة فى المسيح إلا أنها تشمل فى تكوينها أشخاصاً بشريين متميزين منفردين متعددى الفضائل ، غير أنهم متأصلون جميعاً فى جسد المسيح الواحد يتغذون من ذات الطعام الواحد]^(٢) .

(ب) الروح القدس عامل مباشر فى تكوين الشخصية الجديدة :

الروح القدس حينما يملأ هيكنا الجديد يملأه بمواهب وقدرات جديدة ؛ هذه المواهب هى التى توجه الشخصيات وتطبعها بطابع خاص . . .

ليست موهبة كالأخرى فمع أن الروح واحد لكن المواهب كثيرة جداً ومتعددة . . . « فلو احد يعطى بالروح كلام حكمة ، ولآخر كلام علم بحسب

(١) Hom 61, P.G. LIX 361-2

(٢) In Ioannem XI, II, P-G LXXIV 560

الروح الواحد ، والآخ إيمان بالروح الواحد ، والآخ مواهب شفاء بالروح الواحد ، والآخ عمل قوات ، والآخ نبوة ، والآخ تمييز أرواح ، والآخ أنواع السنة ، والآخ ترجمة السنة ؛ ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء» (١)

ولكن بالرغم من هذا التمايز المتعدد النواحي في الشخصيات الموهوبة بالروح القدس إلا أنها تعمل بقيادة الروح الواحد لحساب المسيح !! فنحن من ناحية نجد الروح القدس يوحد البشرية كلها في جسم واحد فيزيّل جميع الفوارق الجنسية ويرفع الحواجز العنصرية ، فتذوب كلها وتصبح البشرية كأنها عجنّت من جديد عجينة واحدة متجانسة ؛ وذلك بفعل الاتّحاد في جسد المسيح السرى .

ومن ناحية أخرى نجد نفس الروح القدس يعمل على خلق شخصيات متميزة ، بأن يهب لشخص ما لايهبه لآخر ، ويقسم الأعمال تبعاً للمواهب ؛ وإنما بحكمة ومقدار حتى يصير من هذه التمايزات وحدة أيضاً ؛ وحدة عمل وبنیان تهدف كلها لغرض واحد وهو اكتمال هذا الجسد الواحد السرى أى الكنيسة ...

ثانياً — الروح القدس والميرون

(١) مسحة الروح القدس :

طبعاً يعرف القارئ أن الميلاد الجديد للانسان الذى يقال له عند العمامة «التنصير» يتم بواسطة إجراء سر المعمودية ، يتلوه سر مسحة الميرون ، غير أن سر مسحة الميرون يلزم حسب الطقس الكنسى أن يجرى للمعتمد مباشرة بعد صعوده من الماء .

والروح القدس عامل أساسى فى كلا السرين ؛ فى الأول يلد الانسان ، وفى الثانى يحل على المعتمد ليملاًه — فى الأول يشترك المعتمد فى جسد المسيح السرى ، وفى الثانى يشترك الممسوح فى مسحة المسيح على الأردن !! والروح

(١) ١ كو ١٢ : ٨ — ١١

القدس واسطة الاتحاد في السر الأول بالتطهير وفي السر الثاني بالتقديس ومنح
المواهب الروحية للنمو .

سر المسحة بالميرون المقدس هو مثل مباشر لمسحة المسيح بالروح القدس
بعد خروجه من مياه الأردن هذا من جهة الطقس ؛ أما من جهة الأثر الفعلي
فالروح القدس بواسطة رشم الزيت المقدس يجعلنا شركاء في مسحة المسيح أو
بالحرى يجعل المسيح الممسوح بالروح القدس حياً وعاملاً فينا !!

في هذا المعنى يتكلم القديس كيرلس الأورشليمي بكلمات إلهية قائلاً : [قد
صرتم مسحاء إذ قبلتم الروح القدس ، وكل شيء قد صار عليكم بحسب الرسم
إذ أنكم رسوم المسيح ؛ فانه لما استحتم في نهر الأردن وصعد منه ، انحدر
الروح القدس عليه جوهرياً ؛ وإستراح المثل على مثيله ؛ ونحن أيضاً بعد أن
صعدنا من جرن الينابيع المقدسة ، منحت لنا المسحة رسمياً كما مسح بها المسيح
أعنى الروح القدس ... ولكن أنظر واحترس من أن تظن ذلك الميرون بسيطاً
لأنه كما أن خبز الشكر بعد استدعاء الروح القدس ليس خبزاً بسيطاً ولا عمومياً
بعد الدعاء ، بل هو جسد المسيح . هكذا هذا الميرون المقدس ، لا يعد ميروناً
بسيطاً ولا عمومياً بعد الدعاء ، بل هو موهبة المسيح وحضور الروح القدس
فاعلاً فعل الوهيته فتسمح به كل جهتك وسائر حواسك ، والمسيح يكون هو
الذي رسم . فان الجسم يدهن بالميرون الظاهر ولكن النفس تقديس معاً بالروح
القدس المحيي .] (١)

الروح القدس ظهر في عماد المسيح بهيأة حمامة ؛ الحمامة في الرمز الانجيلي
تشير إلى رسالة الحياة الجديدة كما حملتها حمامة الفلك أيام الطوفان حينما جاءت
بغصن الزيتون في فمها بعد انتهاء الفيضان علامة على ظهور الحياة الجديدة
على الأرض .

الحمامة التي استقرت على المسيح كانت إشارة إلى انتهاء عهد الموت ،
موت طوفان الروح وبدء حياة جديدة بالروح القدس . . . في هذا المعنى يقول
القديس افرام السرياني : [إن سفينة نوح كانت تبشر بمجيء المزمع أن يسوس
الكنيسة في المياه ، وأن يرتد أعضاؤها إلى الحرية باسم الثالوث الأقدس ،

St. Cyril of Jerusalem On Mysteries Lects. XIX. (١)

وأما الحمامة فكانت ترمز إلى الروح القدس المزمع أن يصنع مسحة هي سر الخلاص [.

الميرون الذي تستخدمه الكنيسة هو زيت شجرة الزيتون ؛ لم تخرج الكنيسة قط عن ربط الرمز بالرموز إليه ، وتحقيق اشارات ونبوات الروح عمليا ، فأوراق الزيتون التي حملتها حمامة الفلك علامة على بدء الحياة الجديدة على الأرض ، استخرجت الكنيسة من ثمرتها زيت المسحة وهياتها للحمامة غير المنظورة أى الروح القدس ، لكي يعطى بها حياة جديدة بالروح . . .

كلمة المسحة تشير إشارة لفظية وعملية لكلمة المسيح . . الأب مسح ابنه بالروح القدس بعد العهاد ؛ كذلك يعمل الروح القدس في سر المسحة ؛ إنه يشركنا في مسحة المسيح كقول القديس كبريانوس : [من اعتمد ينبغي أن يمسح أيضا لكي يصير بواسطة المسحة مسوحا لله ويأخذ نعمة المسيح]

الابن أرسل الروح القدس من عند الأب كوعد الأب !

الأب مسحنا بالروح القدس لتكون أعضاء في جسد ابنه !

سر المسحة يثبتنا في الثالوث الأقدس . . . إنه سر التثبيت :

« ولكن الذى يثبتنا معكم في المسيح وقد مسحنا هو الله الذى ختمنا أيضاً وأعطى عربون الروح في قلوبنا » (١) .

(ب) **ختم الروح القدس** : أو الختان الروحية ، جاجال العهد الجديد

أول من تكلم عن فعل الروح القدس في الانسان كختم هو بولس الرسول ؛ وأول فكرة الختم كانت مرادفة للختان الذى أجراه ابراهيم في لحم غرلته كأمر الرب له ، كعلامة أو شهادة دأمة على إيمان ابراهيم بالله .

« وأخذ علامة الختان ختماً لبرّ الايمان » (٢) .

ابراهيم أخذ ختم إيمانه في الجسد بختانة عضو التناسل الذى هو عضو حياة

(١) ١ كو ١ : ٢٢ و ٢١ (٢) رو ١ : ١١

الجسد . وكان هذا رمزاً لحتم الايمان الذى سيكون بختانة القلب فى الداخل
الذى منه مخارج الحياة الروحية ! !

« لأن اليهودى فى الظاهر ليس هو يهوديا ولا الختان الذى فى الظاهر
فى اللحم ختانا بل اليهودى فى الخفاء هو اليهودى وختان القلب بالروح
هو الختان » (١) .

ابراهيم آمن بالله الذى يحيى الموتى بحسب ايمانه برّاً ... « ولكن لم يكتب
من أجل ابراهيم وحده أنه حسب له ، بل من أجلنا نحن أيضاً الذين سيحسب لنا
الذين نؤمن بمن أقام يسوع من الأموات . الذى أسلم من أجل خطايانا وأقيم
من أجل تبريرنا » (٢)

نحن نؤمن أن يسوع المسيح مات وأنه قام أيضاً ؛ نحن نعتمد لتبرهن على
ايماننا عملياً فنشترك معه فى الموت والقيامة ...

إن معموديتنا إذن هى شهادة ايماننا ... لذلك صارت المسحة بالميرون
المقدس بعدها عبارة عن ختم سرى بالروح القدس ، ختانة روحية فى القلب ،
علامة أبدية غير منظورة أننا « قد تبررنا بالايمان » !!

هذا الختم نأخذه الآن فى هذا الدهر عربون ميراثنا فى الحياة الأبدية
« الذى ختمنا أيضاً وأعطى عربون الروح فى قلوبنا » (٣) هذا الختم عينه
محفوظ لنا إلى اليوم الأخير « لا تحزنوا روح الله القدوس الذى به ختمتم ليوم
الفداء » (٤)

وسيطل هذا الختم العلامة التى تميز أولاد الله الوارثين مع المسيح ليحفظوا
من الضربات الأخيرة على الأرض . . . « وقيل له أن لا يضر عشب الأرض ولا
شيئاً أخضر ولا شجرة ما إلا الناس فقط الذين ليس لهم ختم الله على جباههم » (٥)

(١) رو ٢ : ٢٩ و ٢٨

(٢) ور ٤ : ٢٠ - ٢٥

(٣) ٢ كو ١ : ٢١ و ٢٢

(٤) افس ٤ : ٣٠

(٥) رؤ ٩ : ٤

صورة الختم :

يقول القديس كيرلس الأورشليمي [لا تنسوا الروح القدس في أوقاب استنارتكم لأنه يكون حينئذ مستعداً أن يختم نفوسكم بختمه]^(١)

ما هذا الختم يا ترى ؟

لو تتبعنا كلمة ختم وهي ترجمة ΣΦΡΑΓΙΣ [Sphragis - σφραγις] في اللغة اليونانية — وهي اللغة التي كتب بها بولس الرسول رسائله ؛ نجدها — خصوصاً من الناحية الطقسية الفنية — تعنى علامة خاصة تصنع على الجبهة ، إما للحيوانات الطاهرة المعدة للذبيحة الالهية ، أو للعبيد الخصوصيين أو الجنود التابعين .

هذه الكلمة عينها استخدمها بولس الرسول بمعنى «سمة» إني حامل في جسدي سمات الرب يسوع»^(٢)

وهكذا نستطيع أن نتبع المعنى الذي كان يقصده من قوله : بولس عبد يسوع المسيح — وقد حسبنا مثل غنم للذبح -- واشترك انت في احتمال المشقات كجندي صالح ليسوع المسيح .

إذن فالختم الذي يطبعه علينا الروح القدس في المسحة لا بد أنه يحمل اسم وصورة المسيح كصاحب ومالك لنفوسنا ؛ ولا نعود بعد ذلك احراراً لأنفسنا بل عبيداً للذي اشترانا بدمه... «أنتم لستم لأنفسكم لأنكم قد اشتريتهم بثمن»^(٣) وماذا تكون صورة المسيح المطبوعة علينا ؛ إلاه مصلوباً أو متألماً ، أو على الأقل مقيداً ومهاناً يحاكم أمام هيرودس أو يلاطس !!

حينما يختمنا الروح القدس بصورة المسيح في طقس المسحة نصير أحد ثلاثة : إما عبداً خاضعاً ليسوع المسيح يقوده في موكب نصرته ؛ أو جندياً صالحاً يجاهد الجهاد الحسن ؛ أو غنمة مستضعفة محفوظة ليوم الصليب !

Cat XVII, 35, P.G. XXXIII 1009, (١)

(٢) علا ٦ : ١٧ (٣) اكو ٦ : ١٩ — ٢٠

قوة الختم :

ليس الختم هو مجرد صورة بل هو فعل روحي يتغلغل كل كيان الانسان الجديد حتى أعماقه «إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ» (١)
هو عملية تقديس الأعضاء بطبيعة الروح القدس النارية ؛ فيها تحترق كل شوائب الفكر البشري غير الصالحة ، وكل الأعمال الميتة « يطهر ضمائرکم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي » (٢)

والكاهن حينما يقوم باجراء طقس المسحة ويرشم الأعضاء الظاهرة بالميرون المقدس وعددها ٣٦ رشماً ، هو في الواقع يختم الأعضاء الداخلية أيضاً التي للانسان الجديد ؛ هو يقدس الحواس جميعاً ؛ هو يقدس كل عضو* حتى يصير الانسان كله « خليفة جديدة في المسيح »

وفي هذا المعنى نجد للقديس كيرلس الأورشليمي كلمات معزّية : [هذه المسحة احفظوها طاهرة لأنها تعلم كل شيء إذا لبثت فيكم ، لأن الروح القدس حرز للجسد وخلص للنفس] (٣)

فتاة الاعضاء :

حينما يبدأ الكاهن برشم الميرون يبدأ من منتصف الرأس . . . وإني لمتعجب ومندهش من حكمة الكنيسة في ذلك ، فرأس الانسان يحوى المخ حيث تتجمع مراكز التفكير والتمييز والحواس جميعاً !!
رأس الانسان هو حصن العقن أول جزء اقتحمه الشيطان ، وأول عضو دخلته الخطية . . . عندما أكل آدم من شجرة معرفة الخير والشر . . .

(*) إن الخطية التي تقع على الكاهن الذي لا يدقق في رسم الأعضاء بالميرون أو يختصرها أو يهملها جملة مكتفياً بالقاء جزء من الميرون في ماء المعمودية ؛ هي خطية عظيمة تحمل في معناها الأزدراء بقيمة عمل الروح القدس في الرشومات ؛ واحتقار سر المسحة وأثره ، وهذا قد انعكس على العمدين وخصوصاً أولاد هذا الجيل فنشأوا غير ثابتين والتهبت أعضاؤهم بالشهوه . . .

(١) عب ٤ : ١٢ (٢) عب ٩ : ١٤

(٣) St. Cyril of Jerusalem On Mysteries 3 : 7

عقل الانسان كان حصناً الهياً منيراً ، مركز المعرفة الذى يستمد به معرفة الحق الالهى كاملاً دون انقسام أو بلبلة .. ولكن بعد أن اشتهى الانسان المعرفة المستقلة ، وأن يكون كالله عارفاً ، عارفاً بشخصه وبمقدرته ، وهام وراء الاستقلال الذاتى ، وحوّل مركز تقبله للحقائق من الله إلى ذاته ، تعرض في الحال انقص في المعرفة لأنه أصبح يستمدها من خبرته الشخصية . . . وما الخطأ أو ما الخطية في أصولها إلا معرفة ناقصة !!

ومنذ آدم حتى اليوم والعقل هو العضو الأول الذى يقتحمه الشيطان ويضع فيه كل خطية وكل أثم وكل نجاسة !! ..

أنظر أنت نفسك كيف تدخلت الخطية ، وبأى مكان فيك تبدأ عملها ! إنه عقلك ... فإذا احتلت الخطية هذا الحصن الجبار استولت على جسمك كله ، واستعبدت جميع أعضائك ، وسخرت كل إرادتك وقوتك وإمكاناتك .

لذلك فالروح القدس بالمثل أول ما يقدر يقدر العقل ؛ يختمه ختانه روحية يضع عليه ختم الله حتى لا يعود يفتح أبوابه بسهولة أو بخضوع ذليل للشيطان وحيه ، بل يجاهد بكلمة المسيح ويغلب بسيف الروح ...

وكما ملكت الخطية على الجسد واستعبدت أعضائه « كآلات اثم للخطية » وكان الانسان كله « عبداً للنجاسة » . . . كذلك حينما يملك الروح القدس عقل الانسان ويقدره يصير « عبداً للبر » ويجعل أعضائه تخدم « آلات بر للقداسة » وكما تتهب العقل بالشهوة فاشتعلت الأعضاء كلها تبعاله ، كذلك يتهب العقل بحب الله والقداسة فاشتعلت الأعضاء كما بنار الله فيشتهى الانسان في هذه اللحظات لو يصير ذبيحة . . .

إن العقل هو حصن الانسان الالهى الذى خرّبه الشيطان بالشهوات والنجاسات ؛ ولكن عاد الروح القدس وأصلحه وجدده وختمه جاعلاً فيه حارساً ليس ضعيفاً كالناموس ووصايا موسى ؛ بل قوياً جياراً هو الحق !!

الحق هو حارس العقل ، الحق هو هبة الروح القدس للعقل البشرى ؛ الخطية استعبدت الانسان لما ملكت عقله . . . أما الحق فحرر العقل من كل سلطان الخطية . . . « تعرفون الحق والحق يحرركم » !! (١)

يستمر الكاهن في رسم الأعضاء ، فيمر على وجه المعتمد ويرشم حواسه
بمثال الصليب : الأنف والفم والأذن اليمنى مع العين اليمنى ثم العين اليسرى
مع الأذن اليسرى ولا يرفع أصبعه حتى يتسنى له أن يصنع من هذه الرشومات
صليبا واحداً على كل الوجه !!

ثم يكمل بقية أعضاء الجسم كله ٣٦ رشماً ، لا يترك عضواً أو مفصلاً
أو جزءاً في الجسم إلا ويختمه بخاتم الروح . . .

وهكذا يكمل الكاهن ختانة الأعضاء وكأنه يخلع عنها غلفتها ، « وبه أيضاً
ختتم ختانا غير مصنوع بيد يخلع جسم خطايا البشرية » (١) ويعطيها ختم الروح
للمشاهدة وصورة المسيح .

بعد ذلك تصير الأعضاء كلها للمسيح ، بل كما يقول بولس الرسول
تصير أعضاء المسيح ، لذلك فهو يقشعر حينما يتصور أن إنسانا ما يعود ويستخدم
هذه الأعضاء للنجاسة فيقول « فأخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية »
ألستم تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح» (٢)

حراسة الختم :

ولكن هل ختم الروح القدس الذي نناله بالميرون لا يتلوث قط ؟ نفهم
من قول للقديس أثناسيوس أن تلوث الفكر والأعضاء بعد المعمودية أمر لامفر
منه [إن العقل هو مرآة الله الكلمة ، ما أسهل أن تتلوث هذه المرآة] (٣)
ولكن أمر تجديدها وغسلها هو أمر يتكفل به الروح القدس أيضا
في سر الاعتراف والتوبة .

فالقديس أثناسيوس يعود ويقول [كما أن المعمد يستنير بنعمة الروح
القدس ، هكذا بواسطة الكاهن ينال التائب الغفران بنعمة المسيح] (٤)

وكذلك القديس أغسطينوس يقول في ذات المعنى : [إن الخطية التي يفعلها

(١) كو ٢ : ١١

(٢) اكو ٦ : ١٥

(٣) Orth Spt SS Alban & Serg on Baptism.

(٤) Orth Spt. SS Alban & Serg. on Baptism.

موعوظ تغسل بالمعمودية ، وإذا فعلها معتمد تترك بالتوبة [(١)]
فالتوبة هي ضابطة المعمودية ، وحارسه أختام المسحة وهي الحافظة على
حقوق المعتمد والضامنة لبقاء وعد الميراث !! .

المختومون : الجلجال الجديد

حينما عبر يشوع الأردن مع بني اسرائيل تلقوا أمراً الهياً بعدم التحرك
والتزام حدود الجلجال بجوار ضفة الأردن الشرقية ، إلى أن يختنوا جميعاً في لحم
غرلهم . « وصعد الشعب من الأردن في اليوم العاشر من الشهر الأول وحلوا
في الجلجال وتحم أريحا الشرقي ، في ذلك الوقت قال الرب ليشوع إصنع لنفسك
سكاكين من صوان وعد فاختن بني اسرائيل » (٢) .

هكذا بعدما اعتمد بنو إسرائيل في الأردن التزموا بالختان مباشرة اعداداً
للدخول بهم إلى كنعان ارض فلسطين ارض الوعد !! وكل من وجد غير
مختون لا يصير من عداد الشعب ولا يكون له نصيب في كنعان .

ما أبدع الرمز وما أقوى التشبيه . . . فلم تكن كنعان ارض الراحة
الجسدية الا رمزاً لكنعان السهائية الراحة العليا . . . ولم يكن الأردن الا تعبيراً
عن المعمودية دائماً وعبوره يرمز إلى اجتياز الموت الذي جازه الرب قديماً
بالتابوت وحديثاً بجسده في القبر . . . وما شعب اسرائيل الا رمزاً لباكورة
المفدين الذين عبروا مع الرب في الأردن قديماً وفي جرن المعمودية حديثاً . . .
ولم تكن الختانة في الجلجال بعد عبور الأردن مباشرة في لحم الغلقة إلا
رمزاً للختانة الروحية في القلب التي تجيز لحاملها الدخول إلى الراحة الأبدية
وحق الامتلاك والميراث مع المسيح في المجد . . .

« وسمعت عدد المختومين مائة وأربعة وأربعون ألفاً من كل سبط . . . ونظرت
وإذا جمع كثير لم يستطع أحد أن يعده . . . من كل الأمم والقبائل والشعوب
والأللسنة » (٣)

. . . « وهم سينظرون وجهه واسمه على جباههم » (٤)

يا أخوة كلما عيدتم للعنصرة تذكروا بهذه الأمور

(١) كتاب الاسرار السبعة ص ١٢٩ لحبيب جرجس (٢) يش ٤ : ١٩ ، ٥ : ٢

(٣) رؤ ٧ : ٤ ، ٤ ، ٩ (٤) رؤ ٢٢ : ٤



قريباً جداً

يصدر كتاب

الكنيسة الخالدة

تأليف

القمص متى المسكين

- دراسة حيّة للكنيسة في أصولها الأولى وطبيعتها وشخصيتها
- أضواء قوية على ذبائح ورموز العهد القديم وما تشير به إلى ذبيحة الصليب وكنيسة العهد الجديد
- مفهومات واضحة حاسمة للأسرار والألقاب والخدمات في الكنيسة على أساس روحى آباءى متين

[لحجز النسخ اتصل بيت التكريس لخدمة الكرازة]

٣٨ شارع اسماعيل كامل بجلوان — تليفون ٣٩٦٩٣

يصدر فى ١٥٠ صفحة من القطع المتوسط